

مفهوم الإتيان ومقارباته
في الدلالة
دراسة تطبيقية في آي الذكر الحكيم

Concept of Alityan and its Shades
in Semantics
A Pragmatics Study
on the Glorious Quran

م.م. طارق حسن خضير
مديرية التربية / ذي قار

Asst. Lecturer Tarq Hassin Khudheir
Education Directorate of Thi Qar



... ملخص البحث ...

إنَّ خير العلوم وأشرفها منزلة العلمُ بكتاب الله المبين، ذلك الكتاب الذي بوأَ أمة العرب لِتسلِّم قيادة البشرية كلها، فكانت خير أمة أُخرجت للناس، إذ رعت القرآن الكريم حقَّ رعايته، ولن يتأتَّى ذلك إلا بتعلم اللغة التي أنزل بها، والتمرس ببلاغتها وأساليبها والعلم بمستوياتها، للوقوف على المقاصد الشرعية لآيات القرآن.

وبعد توفيق ومِنَّة من البارئ عزَّ وجل بحثت في موضوع قرآني ألا وهو (الإتيان ومقارباته في الدلالة دراسة تطبيقية في آي الذكر الحكيم).

وفي رحاب مفهوم الإتيان ومقارباته في الدلالة يتضح أنَّه لا ترادفَ بين الإتيان في الاستعمال القرآني لخصوصية استعماله، مع اقتراب ألفاظ بمعناها من معناه، فضلاً عن معنى المجيء الذي يقترب معناه اللغوي من معنى الإتيان، فقد ورد في أغلب معجمات اللغة أن المجيء هو الإتيان والإتيان هو المجيء.



... Abstract ...

The best and the most honest science is that of the manifest Book of Him that gives the Arab nation leadership to the human kinds. It is the best people evolved for mankind paying much heed to the Glorious Quran. Such is never happened but through learning the language the Quran strikes; experiencing its eloquence, its techniques; fathoming its levels and taking seizure of the religious meanings of the lyats.

In the orbit of the concept of "Alityan" and its semantic similitude; it is clear that there is no synonym to "Alityan" in the Quranic use in particular; there are some utterances similar to its meaning. Besides, the meaning of "Almajea" that comes closer to the meaning of "Alityan", in many dictionaries, "Almajea" designates "Alityan" and vice versa.





مفهوم الإتيان ومقارباته في الدلالة

أولاً: مفهوم الإتيان

الإتيان: مصدر قولك: أتى يأتي، إتياناً يقال: أتاني فلانٌ أتياً وإتياناً. قال ابن فارس (المهززة والتاء والواو والألف والياء (أي الحرف المعتل) يدلُّ على مجيء الشيء واصحابه وطاعته)^(١). أما الأتو، بالواو؛ فالاستقامة في السير والسُرعة، يُقال: يأتو البعيرُ أتواً، أي يأتي مستقيماً في سيره. وتقول العرب: أتوتُ فلاناً من أرض كذا، أي سرتُ إليه، ويجوز في معنى أتيته^(٢)، قال خالد بن زهير الهذلي^(٣):

يا قوم، مالي وأبأ ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب
يَشْمُ عَطْفِي وَيَبْزُ ثُوبِي كأنني أربته بريب
فأتوته لغةً في أتيته.

وأما الأتي، بالياء، فالسير والسُرعة مجيئاً، يقال: «أتيته أتياً وإتياً وإتياناً وإتياناً ومأتاةً جيئته»^(٤)، قال العجاج^(٥): فاحتل لنفسك قبل أتي العسكر

أي قبل سير العسكر ومجيئه على وجه السُرعة.

وقال آخر من بني عمرو بن عامر يهجو قوماً من بني سليم^(٦): (من البسيط)

إني واثيبي ابن غلاف ليقريني كغابط الكلب يرجو الطرق في الذنب

ويقال: ما أتينا حتى استأثيناك، أي ما جئنا حتى طلبنا مجيأك^(٧).

والآتي: النَّهْرُ يَسُوقُهُ الرَّجُلُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكُلُّ مَسِيلٍ سَهَّلْتُهُ لِمَاءٍ: أَتَيْتُ وَأَتَى لِلْمَاءِ: وَجَّهَ لَهُ مَجْرَى، يقال: أَتَيْتُ لِلْمَاءِ تَأْتِيًّا، إِذَا حَرَفْتُ لَهُ مَجْرَى.

قال الشاعر^(٨): (من الوافر)

وبعض القبول ليس له عناج كسيل الماء ليس له اتاء

وقال النابغة الذبياني^(٩): (من البسيط)

خَلَّتْ بِسِيلٍ أَتَيْتُ كَانَ يَجْبُسُهُ وَرَفَعْتُهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَضِدِ

والميتاء: الطريق العامر بكثرة سالكيه، بسبب سهولته ويُسر السَّيرِ فيه. وفي الحديث أَنَّهُ حِينَ تُوْفِيَ إِبرَاهِيمَ ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، بكى عليه فقال: (لولا أَنَّهُ وَعَدَّ حَقًّا، وَقَوْلُ صَدَقٍ، وَطَرِيقٌ مِثْنَاءٌ لِحَزْنًا عَلَيْكَ يَا إِبرَاهِيمَ حُزْنًا أَشَدَّ مِنْ حُزْنِنَا)^(١٠). قال الزمخشري: «هو مفعال من الإتيان؛ أي يأتيه النَّاسُ كثيرًا ويسلكونه»^(١١)، فالميتاء أو الميتاء، الطريق المسلك يسلكه كلُّ احدٍ.

والمواتية من النساء: حَسَنَةُ الْمُطَاوَعَةِ وَالْمُؤَافَقَةِ، سهلة الانقياد لزوجها.

وفي الحديث: «خيرُ النَّساءِ المُواتية لزوجها»^(١٢)، قال ابن الأثير: «المواتاة: حُسنُ المطاوعة والمُوافقة، وأصلها الهمزُ فخفف وكثر حتى صار يُقال بالواو الخالصة»^(١٣)، يقال: أَتَيْتُهُ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ مَوَاتَاةً، إِذَا وَافَقْتُهُ وَطَاوَعْتُهُ.

وفي حديث ظبيان في صفة ديار ثمود قال: «وَأَتَوْا جَدَاوِلَهَا» أي سَهَّلُوا طُرُقَ المياه إليها، يقال: أَتَيْتُ الْمَاءَ: إِذَا أَصْلَحْتَ مَجْرَاهُ حَتَّى يَجْرِيَ إِلَى مَقَارِهِ^(١٤).



وَأَتَيْتُ الْمَاءَ تَأْتِيَةً وَتَأْتِيًا، أَي سَهَلْتُ سَبِيلَهُ لِيَخْرُجَ إِلَى مَوْضِعٍ (١٥). وَيُقَالُ: أَتَيْتُ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ؛ أَي جَعَلْتُ لَهُ طَرِيقًا يَأْتِي إِلَيْهَا أَوْ يَجِيءُ (١٦)، وَكُلُّ الْمَعَانِي أَوْ الْأَوْجِهَةِ الَّتِي يَخْرُجُ إِلَيْهَا (الِإِتْيَانُ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِنَّهَا تَدُورُ فِي هَذِهِ الدَّلَالَةِ حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا عَلَى نَحْوِ مَا سَنَفَصِّلُ فِيهِ الْقَوْلَ فِي مَبْحَثِ (الِإِتْيَانِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ).

ثَانِيًا: مَقَارِبَاتُهُ فِي الدَّلَالَةِ

لِكُلِّ لَفْظٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَلْفَاظٌ تَقَارِبُهُ فِي الدَّلَالَةِ، تَتَضَخُّ بِمَجْمُوعِهَا دَلَالَتُهُ، وَيُفَسَّرُ بِبَعْضِهَا جَانِبٌ مِنْهُ لَمَّا بَيَّنَّهَا مِنْ مَشْتَرِكَاتٍ تَقَلُّ وَتَكْثُرُ بِحَسَبِ اسْتِعْمَالِ الْإِنْسَانِ لَهَا فِي لُغَتِهِ وَاسْتِخْدَامِهِ إِيَّاهَا.

وَالْمَعْجَمَاتُ الْعَرَبِيَّةُ تُجْمَعُ عَلَى أَنَّ الْإِتْيَانَ: الْمَجِيءُ (١٧)، وَنَصَّ عَدَدٌ مِنْهَا عَلَى أَنَّ الْمَجِيءَ أَعْمٌ مِنَ الْإِتْيَانِ (١٨)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْإِتْيَانَ شَكْلٌ مَخْصُوصٌ أَوْ عَدَّةُ أَشْكَالٍ مِنْ أَشْكَالِ الْمَجِيءِ، وَهُوَ (الِإِتْيَانُ): «مَجِيءٌ بِسَهُولَةٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّيْلِ الْمَارِعِ عَلَى وَجْهِهِ: أَتَيْتُ وَأَتَاوَيْتُ» (١٩)، وَسَيْلُ الْمَاءِ جَرِيَانٌ، وَالْجَرِيَانُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِحَرَكَةٍ، وَكَذَلِكَ أَلْفَاظُ (الِإِقْبَالِ، الِاقْتِحَامِ، الْإِقْدَامِ، الْحُضُورِ، الْوُرُودِ) لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِحَرَكَةٍ إِرَادِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ إِرَادِيَّةٍ، سَرِيعَةٍ أَوْ بَطِيئَةٍ، حَقِيقَةٍ أَوْ مَجَازِيَّةٍ.

فَالْمَجِيءُ؛ الْإِتْيَانُ، مَصْدَرُ قَوْلِكَ جَاءَ يَجِيءُ جِيئًا وَجِيئَةً وَجِيئًا، هَكَذَا فِي الْمَعْجَمَاتِ اللُّغَوِيَّةِ (٢٠). وَيُقَالُ: جَايَأُنِي عَلَى فَاعِلْنِي، فَجِئْتُهُ، أَي غَالَبَنِي بِكَثْرَةِ الْمَجِيءِ فَغَلَبْتُهُ (٢١). وَأَجَاءَهُ إِلَى الشَّيْءِ جَاءَ بِهِ وَأَلْجَأَهُ وَاضْطَرَّهُ إِلَيْهِ، قَالَ زَهْرَبْنُ أَبِي سَلْمَى (٢٢): (مَنْ الْوَافِرُ)

وَجَاءَ سَارَ مَعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ

قال الفراء: أصله من جئتُ، وقد جعلته العرب إجماءً (٢٣)، أي جاءت به إليكم سير المخافة والرجاء.

ويكون المجيءُ بشكل تقدُّمي، حيث إنَّ حركتنا تكون مقصودة إلى مكان معين، أو شخص محدد، وأكثر ما ورد هذا الفعل دالاً على حركة الإنسان مع الرسل، عليهم السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٥)، ونحن نعلم أن الله تعالى قد جاءنا بأنبيائه ورُسُلِهِ لهدف محدد وهو الدعوة ونشر الدين.

والحركة تكون من الإنسان الذي يقصد مكاناً معيناً، فيسير إليه بإرادته من غير إكراه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢٦)، فالفعل جاء في الآية المباركة لا إكراه فيه ولا إرغام.

أمَّا من حيثُ الشَّرْعَة؛ فالفعل (جاء) ليس محددًا بِسُرْعَة، فقد تكون الحركة سريعة أو بطيئة وذلك بحسب ظروف الإنسان.

وورد الفعل (جاء) في القرآن الكريم غير دال على حركة الإنسان بل مرتبط بغيره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا نَأْتُمُ إِلَّا مَبْطُلُونَ﴾^(٢٧)، إذ إنَّ الفعل في هذه الآية ارتبط بالبرهان أو الدليل الذي يجيء به الرسل من أجل إقناع الآخرين.



وقد ارتبط بالحق في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾^(٢٨).

وذكر في القرآن الكريم من أجل الحث على الإقبال على الحسنات، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢٩).

وارتبط بالبأس والشدة والقوة، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ﴾^(٣٠).

من دلالاته ارتباطه بالنصر والفتح، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٣١)، وكل ذلك لا يكون أو لا يتم إلا ببذل جهد وحصول مشقة.

والإقبال؛ التوجه نحو القبَل^(٣٢) من القاف والباء واللام الدال في أصله على مواجهة الشيء للشيء^(٣٣)، ولا يكون إلا بقصد «لأننا نكون قاصدين موضعاً معيناً، ومنه جاءت القبلة التي نصلي نحوها»^(٣٤).

وهذا التوجه يكون أيضاً بشكل تقديمي من إنسان إلى آخر، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٣٥)، فالإقبال في الآية يكون وجهاً لوجه بشكل تقديمي وكل ذلك القبَل؛ لأن القبَل هو الذي يعطيك قبْلَهُ من جهته، يقال: أتى الأمر من مأتاه ومأتاته، أي من جهته ووجهه الذي يؤتى منه.

والفعل (أقبل) كالفعل (أتى) يكون بإرادة الإنسان، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَءَ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(٣٦)، فالفعل (أقبل) لا إكراه فيه، وقد ذُكرت فيها تفسيرات منها ما يتعلق بالحركة الإنسانية، يقول الفخر الرازي



(ت٦٠٦هـ): «أي أقبلت على أهلها، وذلك لأنها كانت في خدمتهم، فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحييت وأعرضت عنهم، فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الإقبال على الأهل ولم يقل بلفظ الإدبار عن الملائكة»^(٣٧).

والسرعة في (أقبل) ليست محددة، فقد يكون الإنسان سريعاً أو بطيئاً، وذلك بحسب الموقف الذي يكون فيه، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾^(٣٨)، نجد أن حركة الفعل تتم بسرعة^(٣٩)، بدلالة الفعل (يزفون)، إذ المعنى «يسرعون إليه في المشي»^(٤٠).

ولم يدل هذا الفعل على شيء آخر غير الحركة الإنسانية، حيث إن معظم الآيات التي ورد فيها تدل على حركة الإنسان بصيغة الماضي تارةً، وبصيغة الأمر تارةً أخرى، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾^(٤١)، قال السيد طنطاوي: «ياموسى اقبل نحو المكان الذي كنت فيه، ولا تخف مما رأيته، انك من عبادنا الآمين عندنا، المختارين لحمل رسالتنا»^(٤٢). وهذه هي الآية الوحيدة التي ورد فيها الفعل بصيغة (الأمر).

والاقتحام؛ من قَحَم الدَّال على تورُّد الشيء بأدنى جفاء وإقدام. يقال: «قَحَمَ في الأمور قُحُومًا: رمى بنفسه فيها من غير دُرْبَةٍ»^(٤٣). «وهو توسُّط شِدَّةٍ مَخِيفَةٍ»^(٤٤). وقد ورد في القرآن مرتين إحداهما في سورة (ص: ٥٩)^(٤٥)، والأخرى في سورة البلد: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾^(٤٦)، أي «إنه يقتحمها لصعوبتها»^(٤٧)، فيه من التوغل والدخول والمجازرة بشدَّةٍ ومشقة، حيث جعل الله الأعمال الصالحة عقبةً وعمَلَهَا اقتحاماً لما فيها من تعبٍ ومشقةٍ^(٤٨). فقوله ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ معناه «فهلأ نشط واخترق الموانع التي تحول بينه وبين طاعة الله...»^(٤٩).



والأصل أن تكون حركة الإنسان فيه تقدمية إلى الأمام؛ لأن الاقتحام يكون لغرض معين، ثم يكون الانتشار في الحركة إلى كل الأماكن، أعلاها وأسفلها، من أجل الإحاطة بالمكان كله.

وتتم الحركة في الفعل رغماً عن الإنسان؛ لما فيها من ضرر، وإن كان الاقتحام ضرورياً لتحرير أرض أو وطن من الناحية المادية، ولتحرير النفس من مصائد الشيطان من الناحية المعنوية.

ومن ناحية السرعة، فإن الاقتحام كلما كان أسرع كانت نتائجه أفضل، لذا لا مجال للبطء في هذا الفعل؛ لأن ذلك يعني أن المقتحم إن لم يكن سريعاً، ربما يفقد حياته وأرواح من معه. وعلى ذلك فالفعل (قحم) يحمل دلالات التعب والمشقة، والجهد الكبير، والسرعة العالية، وفي الآية السابقة نجد أن العقبة ليست شيئاً مادياً وإنما هي شيء معنوي، وهو بمثابة حاجز لاختبار المؤمنين، فمن اجتازها فقد فاز.

والإقدام؛ الأصل فيه الدلالة على السبق^(٥٠)، يُقال: قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ، أي جاءَ على قدمه التي هي آلة للتقدم والسبق^(٥١)، يُقال: تَقَدَّمْتُ القوم: سَبَقْتُهُمْ^(٥٢) مِنْ قَدَمٍ يَقْدُمُ قَدوماً، أي جاءَ يَجِيءُ جَيئاً.

وأصل قولهم: «مضى فلان قُدماً: لم يعرَّج ولم يثن»^(٥٣) وهذا يعني أن القدوم يكون مستقيماً، وحين نقول قَدَمٌ، يَقْدُمُ، أي أنه تقدَّم عَمَّن سِوَاهُ، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(٥٤)، إذ إنَّ الفعل يدل على السبق في المشي والجري، أي «يصير مُتقدِّماً سابقاً لهم إلى عذاب النار»^(٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾^(٥٦)، «معناه من يأتي منكم أولاً إلى المسجد ومن يأتي متأخراً»^(٥٧).

ولم يرد هذا الفعل إلا دالاً على الحركة الإرادية التامة للإنسان، وهو الأصل فيه، لأنّ قدوم الشخص يكون لهدف، وقصد من غير إكراه.

وسرعة الفعل غير محدّدة، وتكون بحسب الموقف الذي تتطلبه الحركة بحسب ظروف الشخص وأحواله. وقد ورد هذا الفعل كثيراً في القرآن الكريم غير دالٍ على حركة الإنسان المادية التي تتّمّ بألة السبق والمجيء والإتيان (القدم) فارتبط بأمور مجردة أخرى، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٥٨)، أي عملت أشياء ترضي الله، سبحانه وتعالى، يوم الحساب، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٥٩)، من خير أو شر، والفاعل هنا مجازي ويراد به الجسم كلّ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾^(٦٠).

وفي بعض الآيات زيد الفعل بالسين والتاء والهمزة وكان دالاً على قدرة الله، جل وعلا، بحيث لا يستطيع أحد أن يقدم أجله أو يؤخره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٦١).

وقد ارتبط الفعل بذنوب الناس وآثامهم، قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾^(٦٢)، وفي كلّ ذلك لا يخلو من معنى المجيء والإتيان على وجه المجاز اتساعاً.

والحضور؛ نقيض الغيب، من إيراد الشيء ومشاهدته^(٦٣)، يقال حَضَرَ الرَّجُلُ حُضُورًا، أي صار مشاهداً بمجيء أو إتيان أو ورود، وأَحْضَرَهُ غَيْرُهُ، أي أتى أو



جيء به. ويقال أيضاً حضرت القاضي اليوم امرأة، أي أتت أو جاءت بإرادتها أو أتت بها أو جيء بها إليه. ولذا فالمحتضر: الذي يأتي الحضر^(٦٤). «وحضر الغائب حضوراً: قَدِمَ مِنْ غَيْبَتِهِ»^(٦٥). «وهؤلاء قومٌ حُضِرُوا، إذا حضروا المياه ومحاضر^(٦٦)، أي جاءوا إليها. قال لبيد^(٦٧): [من الكامل]

فالواديان فكلٌ مَغْنَى مِنْهُمُ وَعَلَى الْمِيَاهِ مُحَاضِرٌ وَخِيَامٌ

والمعاني أو الوجوه^(٦٨) التي يخرج إليها الحضور في القرآن الكريم تشتم منها رائحة الإتيان والمجيء، ففي قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٦٩)، أي مكتوباً، كأنه سبقهم بإتيان أو مجيء فوجدوه مكتوباً أمامهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾^(٧٠)، أي أتت أو جيء بهم للعذاب. وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧١)، أي مستوطني المسجد الحرام، والاستيطان لم يكن إلا عن إتيان أو مجيء. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٧٢)، سمعوه بعد وصولهم إليه وهذا الوصول لم يتم إلا بإتيان أو مجيء.

والحضور يكون بحركة تقدّمية إلى الأمام؛ لأنّ الحاضر يقصد مكاناً معيناً يذهب إليه، وهذا الفعل لم يرد كثيراً في القرآن الكريم دالاً على حركة الإنسان، وعلى

الرغم من ذلك فانه أي (الحضور) يكون بحركة، للأعلى أو للأسفل، وقد ارتبط بالكافرين في القرآن الكريم، ومن ثم كانت الحركة رغماً عنهم وليست بإرادتهم، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾^(٧٣)، فالفعل هنا ارتبط بالمشركين الذين صدّوا عن سبيل الله، وقد أحضروا قهراً، ويبقى المعنى العام للحضور بإرادة الإنسان إذا كان قاصداً الذهاب إلى مكان معين.

وغالباً ما يكون الحضور غير محدد السرعة، إلا أنه في الآية السابقة دلّ على السرعة، لأن الموقف يقتضيها ولا يتطلب البطء.

ولهذا الفعل دلالات أخرى في القرآن الكريم، فقد ذكر كثيراً مرتبطاً بالموت كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٧٤)، أي جاء أو أتى بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^(٧٥)، فالفاعل مجازي؛ لأن الموت لا يأتي، كما أن المفعول به في الآيتين تقدم على فاعله لغرض بلاغي وهو ثبات الموت على الشخص أو الإنسان.

كما ارتبط هذا الفعل بالإنصات إلى ما يُقرأ من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾^(٧٦). وفيه دلالة لما تجهزه النفس من خير أو شر ليوم الحساب، قال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ﴾^(٧٧). أي ما عملت من خير أو شر، وما كان العمل ليتم إلا بإتيان ومجيء وذهاب وإياب.



والرود؛ حضورٌ، يُقال: ورد فلانٌ وروداً: حضر. وأورده غيره، واستورده، أي أحضره: إذا حضرته، ووردت ماء كذا، ويُقال: تورّدت الخيلُ البلدة، أي دخلتها قليلاً قليلاً، قطعة قطعة.

وأصل الرود: قصد الماء، ثم يُستعمل في غيره. يُقال: وردت الماء أردُ وروداً، فأنا واردٌ، والماء مورود^(٧٨)، وقد وردَ الماء يردُّه وروداً: بلغه ووافاه^(٧٩). قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٨٠)، أي أتاه قاصداً إياه، واصلاً إليه مشياً^(٨١)، أو بلغه إتياناً^(٨٢).

والموردة: ما أتاه الماء^(٨٣)، قال أبو ذؤيب الهذلي^(٨٤): [من الطويل]

يقولون لما جُشَّتِ البئرُ أوردُوا وليس بها أدنى ذفافٍ لواردٍ^(*)

وقد يُستعار الإيراد أو الرود لإتيان القبر، وكلُّ ما أتيتُه فقد وردته، ويُعبّر عن إتيان الحمى بالورد أيضاً^(٨٥).

وكل المعاني أو الأوجه^(٨٦) التي خرّج إليها الرود في القرآن الكريم لا تخلو من إتيان أو مجيء، ففي قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(٨٧)، أي أدخلهم، والدخول لم يتم إلا بحركة من الداخل وهذه الحركة هي إتيان أو مجيء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ...﴾^(٨٨)، أي وصلَ إليه^(٨٩)، أو بلغه، ولا يتحقق الوصول ولا يتم البلوغ إلا بحركة ينشأ عنها إتيان أو مجيء أو... الخ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٩٠)، أي: طالب الماء لهم، وطلب الماء لا يتحقق إلا بحركة الطالب إتياناً أو مجيئاً.

ويمكن القول: إن الورود هو الحضور أو الدخول إلى مكان ما، وهو خاص بالماء (ورد الماء)، وفي حالة المضارعة والأمر تحذف فاء الفعل (الواو)؛ لأنه معتل (مثال واوي). والورود إنما يكون بقصد، وتكون الحركة فيه أماماً أو إلى الأعلى أو إلى الأسفل، ففي الآية الثالثة والعشرين من سورة القصص، جاء الماء لهدف محدد وهو الشرب.

وورد هذا الفعل في القرآن الكريم لدالتين، إحداهما تدلُّ على إرادة الإنسان وحريته في أثناء القيام بحركته، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هُوَ لِآءِ آهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٩١)، «أي دخلوها»^(٩٢)، والأخرى، أن الحركة في الفعل تكون رغماً عن الإنسان وذلك بإضافة همزة (أفعل)، كما في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(٩٣)، فحركة الإنسان لم تكن بإرادته؛ لأنَّ الفاعل هو فرعون والمفعول به هم الذين «يتبعونه حتى يوصلهم النَّارَ ويدخل بهم فيها»^(٩٤)، ذلك لأنه يصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار.

وأما الشَّرْعَةُ؛ فإنها غير محددة في الفعل (ورد) فقد يكون الورود سريعاً أو بطيئاً ففي الآية السابقة مثلاً (أوردهم) كانت الحركة سريعةً، في حين تكون بطيئةً في مواضع أخرى، والذي يُحدِّد ذلك الواردُ نفسه، وظروفه وأحواله، ولم يرتبط هذا الفعل بأي دلالاتٍ أخرى غير حركة الإنسان، ويبدو أنَّ ذلك، هو السبب في قلَّة وروده في القرآن الكريم.



يَتَّضِحُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ هُنَاكَ تَقَارُبًا شَدِيدًا وَقَوَاسِمَ مَشْرُوكَةً فِيهَا بَيْنَهَا، فَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى الْحُضُورِ وَالِإِتْيَانِ، وَتَمَّتْ بِإِرَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي مَعْظَمِهَا، وَالسَّرْعَةُ فِيهَا غَيْرُ مُحَدَّدَةٍ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ ذَاتَ دَلَالَاتٍ مَشْرُوكَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا، حَيْثُ إِنَّهَا دَلَّتْ عَلَى مَعْنَى مَشْرُوكٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِتْيَانُ وَالِإِقْبَالُ وَالْقُدُومُ، كَمَا أَنَّهَا أَفْعَالٌ كَثِيرَةٌ الْوُرُودِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِأَنَّ دَلَالَاتَهَا وَاضِحَةٌ، وَارْتَبَطَتْ كَثِيرًا بِالرَّسْلِ عَلَيْهِمُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

ثالثاً: بين الإيتان والإيتاء

ذَكَرْنَا آنفًا أَنَّ الْإِتْيَانَ مَصْدَرُ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ (أَتَى يَأْتِي) وَمَعْنَاهُ الْمَجِيءُ بِسَهْوَةٍ وَيُسْرٍ أَوْ الْإِقْبَالَ عَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ وَتَنْفِيزَ الْأَمْرِ بِلا مَشَقَّةٍ وَمِنْ غَيْرِ تَعَبٍ. وَالِإِتْيَانَ يُقَالُ «لِلْمَجِيءِ بِالذَّاتِ وَبِالْأَمْرِ وَبِالتَّدْبِيرِ، وَيُقَالُ فِي الْخَيْرِ وَفِي الشَّرِّ وَفِي الْأَعْيَانِ وَالْأَعْرَاضِ»^(٩٥)، وَيَكُونُ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ مُبَاشِرَةً، فَيُقَالُ: أَتَيْتُهُ، أَتَيْتُ فَلَانًا، أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ، وَلَا يَتَعَدَّى إِلَى ثَانٍ إِلَّا بِحَرْفِ جَرٍّ، نَحْوُ: أَتَيْتُهُ بِالْمَاءِ.

أَمَّا الْإِتْيَاءُ؛ فَمَصْدَرُ الثَّلَاثِيِّ الْمَزِيدِ بِالْهَمْزَةِ فِي أَوَّلِهِ (ءَأْتَى يَأْتِي) وَأَصْلُهُ (أَتَى) زِيدَتْ عَلَيْهِ هَمْزَةٌ فِي أَوَّلِهِ (أَأْتَى) ثُمَّ خُفِّفَتِ الثَّانِيَةُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي التَّسْهِيلِ وَالتَّخْفِيفِ فَصَارَ (ءَأْتَى). وَمَعْنَاهُ: أَعْطَى يُعْطِي، وَيَكُونُ مُتَعَدِّيًا إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَصَلَ إِلَى أَحَدِهِمَا بِنَفْسِهِ وَإِلَى الْآخَرِ بِالْهَمْزَةِ كـ (أَعْطَى) تَمَامًا، إِذْ أَصْلُهُ عَطَا يُعْطُو عَطْوًا، ثُمَّ زِيدَتْ عَلَيْهِ الْهَمْزَةُ فَصَارَ أَعْطَى يُعْطِي إِعْطَاءً. يُقَالُ أَتَيْتُهُ مَالًا، أَيِ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مَنِيٍّ، وَبِلا بَدَلٍ مَشَقَّةٍ مِنْهُ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا أَوْتِيَ. لِأَنَّ الْمَعْطَى يَشْعُرُ بِرَاحَةٍ سَعَى إِلَيْهَا فَهَا هِيَ وَلَمْ يَشْعُرِ الْمَعْطَى بِتَعَبٍ أَوْ مَشَقَّةٍ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا أَوْتِيَ. لِذَا

«خُصَّ دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء»^(٩٦).

١. قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾**^(٩٧)؛ لأنَّ في إيتاء الزكاة صلاح المجتمع لكفاية عوز الفقراء والمعوزين^(٩٨).

٢. في قوله تعالى: **﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾**^(٩٩)، قال أبو السعود: «أي المال الذي فرض إخراجه للمستحقين وإيراده هاهنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد»^(١٠٠).

وكان التعبير بـ (آتيناً) وصفاً للكتب السماوية أبلغ من التعبير بـ (أوتوا)؛ لأنَّ آتيناهم يقال فيمن كان منه قبول وإيمان بما أوتي، ومن أمثلته في القرآن الكريم:

١. في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**^(١٠١)، قال ابن عاشور: «والمراد من (الكتاب) التوراة التي أوتيتها موسى... والفرقان... مشتق من الفرق وهو الفصل استعير لتمييز الحق من الباطل فهو وصف لغوي للفرقة، فقد يطلق على كتاب الشريعة وعلى المعجزة وعلى نصر الحق على الباطل وعلى الحجة القائمة على الحق»^(١٠٢).

٢. في قوله تعالى: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾**^(١٠٣)، قال الرازي:



«واعلم أنّ (الكتاب) إشارة إلى ظواهر الشريعة (والحكمة) إشارة إلى أسرار الحقيقة، وذلك هو كمال العلم، وأما الملك العظيم فهو كمال القدرة. وقد ثبت أنّ الكمالات الحقيقية ليست إلا العلم والقدرة، فهذا الكلام تنبيه على أنّه سبحانه آتاهم أقصى ما يليق بالإنسان من الكمالات»^(١٠٤).

٣. في قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١٠٥)، قال صاحب الوسيط: «أي: وكلاً من داود وسليمان قد أعطينا من عندنا (حكماً) أي: نبوة وإصابة في القول والعمل (وعلماً) أي: فقهاً في الدين، وفهماً سليماً للأمر»^(١٠٦).

٤. في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١٠٧)، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل ويعملوا بما فيها»^(١٠٨)، إذ إنّ إيتاء التوراة لقوم موسى سيكون سبباً في هدايتهم وإصلاحهم لما تتضمنه التوراة من أحكام وشرائع.

٥. في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠٩)، قال الطنطاوي: «والله لقد أعطينا داود وابنه سليمان علماً واسعاً من عندنا، ومنحناهما بفضلنا وإحساننا معرفة غزيرة بعلوم الدين والدنيا»^(١١٠).

نلاحظ ممّا تقدّم أنّ الفعل آتينا اقترن بالكتاب والحكم والعلم الذي هو جزء من الكتاب أي من التعليقات والإيحاءات السماوية.

وإذا كان إيتاء الشيء، بمعنى إعطائه بطيب نفس وانسراح صدر إخراجاً إلى مَنْ يأخذه تناولاً من غير مشقةٍ ولا بذلٍ جُهدٍ في الحصول عليه، مصدر المزيد (أتى يؤتي) فإنَّ إعطاء الشيء، بمعنى إيتائه إيصالاً بسهولةٍ ويُسرٍ إلى المأْتِي بقصد الإفادة منه والانتفاع به من غيرِ مَشَقَّةٍ ولا تعب، مصدر المزيد بالهمزة (أعطى يعطي).

وعلى هذا، فإنَّ هناك ألفاظاً مجردة أو مزيدة تقاربه في الدلالة حقيقةً أو مجازاً، بنسب متفاوتة في وجه من وجوهها كالإرسال، والإعطاء، والإنزال.

فالإرسال: من رَسَلَ الثلاثي الدَّال، في أصله هذا «على الانبعاث والامتداد فالرَّسُلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ. وناقَةٌ رَسَلَةٌ: لا تكلفك سيقاً... لينةً المفاصل. وشعرٌ رَسَلٌ، إذا كان مسترسلاً»^(١١١)، يقال: جاء وأرسلأ، أي متتابعين. زيدت عليه الهمزة فصار أرسل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١١٢)، قال الراغب: «والإرسال يُقال في الإنسان، وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة، وقد يكون ذلك بالتسخير، كالإرسال الريح، والمطر، نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام: ٦]، وقد يكون ببعث مَنْ له اختيار، نحو إرسال الرُّسُل... والإرسال يُقابل الامساک..»^(١١٣)، وقال ابن عاشور «أي هو لا غيره أرسل رسوله بهذا النور فكيف يترك معانديه يطفئونه»^(١١٤).

والإنزال: من نزل الدال على هبوطٍ شيءٍ ووقوعه^(١١٥)، ونزل المطر من السماء نزولاً، ويُعبَّرُون عن الحج بالنزول، ونزل إذا حجَّ، قال عامر بن الطفيل^(١١٦): (من الطويل)

أنزلةٌ أسماءٌ أم غيرِ نازلةٍ أييني لنا يا أسم ما أنتِ فاعلُهُ



ونزلنا في مكان كذا، إذا أتيناها. قال الشاعر^(١١٧): (من الطويل)

وَمَا نَزَلْنَا قَرَّتِ الْعَيْنُ وَانْتَهَتْ أَمَانِيُّ كَانَتْ قَبْلُ فِي الدَّهْرِ تَسْأَلُ

فَقَوْلُنَا: «نَزَلْنَا: أَتَيْنَا مِنْي»^(١١٨).

ففي قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

تَنْزِيلًا﴾^(١١٩)، والمعنى: ولقد أنزلنا إليك، أيها الرسول، هذا القرآن، مفصلاً في

أوامره ونواهيه وفي أحكامه وأمثاله... ومنجماً في نزوله لكي تقرأه على الناس على

تؤدة وتأن وحسن ترتيل، حتى يتيسر لهم حفظه بسهولة، وحتى يتمكنوا من تطبيق

تشريعاته وتوجهاته تطبيقاً علمياً دقيقاً^(١٢٠)، قال الزمخشري: «أي جعلنا نزوله مفزقاً

منجماً، وعن ابن عباس: أنه قرأ مشدداً وقال الم ينزل في يومين أو ثلاثة، بل كان بين

أوله وآخره عشرون سنة»^(١٢١)، ونستطيع القول إن هناك تقارباً في المعنى بين (نزل)

و(أتى) مجازياً، إذ الأولى تدلُّ على النزول بيسرٍ وتأن في حين نرى أن (أتى) تدلُّ على

المجيء بسيرٍ وسهولة و(الله اعلم).

والإعطاء: من عطا الشيءَ يعطو عَطوًّا، إذا أخذه وتناوله. قال الشاعر: [من

المتقارب]

وتعطو البريرَ، إذا فاتها بجيدٍ ترى الخدَّ منه أسيلاً

وظبي عطو: يتناول الشجر بتناول. ولا تعطوه الأيدي، أي لا تبلغهُ ففتنوله.

والتعاطي: تناولُ والجراءة على الشيء، وهو كذلك من عطا الشيءَ يعطوه

إذا أخذه وتناوله، وعاطى الصبيُّ أهله: عمل لهم وناولهم ما أرادوا، ويقال: عطيتُه

وعاطيتُه، أي خدمته وقيمت بأمره^(١٢٢).



وتناول كل شيءٍ أو الجراءة على فعله وعمل الصبي لأهله، لا يكون إلا بعد قصده وبلوغه والوصول إليه إتياناً أو مجيئاً أو ذهاباً أو إياباً، ولذا توصف القوس السهلة التي تُعطف لليونتها ولم تنكسر بأنها عَطوى، على فعلى، أي مواتية سهلة، فيقال: هذه قوس معطية؛ إذا كانت لينة ليست بكزّة ولا ممتنعة على مَنْ يمدُّ وترها فهي مواتية^(١٢٣).

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١٢٤)، قال الطنطاوي: «وفضلاً عن كل ذلك فأنت، أيها الرسول الكريم، سوف يعطيك ربك خيري الدنيا والآخرة، كل ما يسعدك ويرضيك من نصر عظيم، وفتح مبین، وتمكين في الأرض، وإعلاء لكلمة الحق على يدك، وعلى أيدي أصحابك الصادقين، ومنازل عظمى في الآخرة لا يعلم مقدارها إلا الله، تعالى، كالمقام المحمود، والشفاعة، والوسيلة.. وبذلك ترضى رضاء تاماً بما أعطاك، سبحانه، من نعم ومنن»^(١٢٥)، فإذا علمنا أن هذه المنزلة الرفيعة التي وصل إليها النبي الخاتم ﷺ، لم تكن لأحدٍ غيره من الأنبياء والمرسلين؛ لأنّه وصل إليها بالعمل والقصد وهذا العطاء الذي من الله إليه يأتي بيسر وسهولة، فقد نلمح أن هناك علاقة بين الإيتاء والإعطاء وهي اليسر والسهولة في معنيهما اللغوي في القرآن الكريم والله اعلم.

-
- (١) معجم مقاييس اللغة: ٤٩ / ١.
 - (٢) ينظر: العين: ١٤٥ / ٨.
 - (٣) ديوان الهذليين: ١٦٥ / ١.
 - (٤) لسان العرب: (اتي).
 - (٥) الديوان: ٥٣.



- (٦) ينظر: لسان العرب: (غبط)، الحيوان: ١٦٩/٢، مجمع الأمثال للميداني: ٢٠/٢.
- (٧) ينظر: الصحاح: (أتي).
- (٨) ينظر: العين: ١٤٦/٨.
- (٩) الديوان: ٣٣.
- (١٠) الفائق في غريب الحديث: ٢٠/١، وينظر: النهاية: ٢٣/١.
- (١١) الفائق: ٢٠/١.
- (١٢) السنن الكبرى: ٢٠٨/٢.
- (١٣) النهاية: ٢٣/١.
- (١٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢٣/١.
- (١٥) ينظر: اللسان: (أتي).
- (١٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢٣/١.
- (١٧) ينظر: الصحاح في اللغة: (أتي)، معجم مقاييس اللغة: ٧٢-٧٣/١، المصباح المنير: (أتي)، لسان العرب: (أتي).
- (١٨) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢١٢، "والمجيء كالإتيان، لكن المجيء اعم".
- (١٩) نفسه: ١٠/١.
- (٢٠) ينظر: الصحاح في اللغة: (جياً)، اللسان: (جياً).
- (٢١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٢٢/١.
- (٢٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٧٧.
- (٢٣) ينظر: الصحاح في اللغة: (جياً)، اللسان: (جياً).
- (٢٤) المائدة: ١٩.
- (٢٥) البقرة: ١٠١.
- (٢٦) الأنعام: ٥٤.
- (٢٧) الروم: ٥٨.
- (٢٨) المائدة: ٨٤.
- (٢٩) الأنعام: ١٦٠.
- (٣٠) الأعراف: ٤.
- (٣١) النصر: ١.



- (٣٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٥٣.
- (٣٣) نظر: معجم مقاييس اللغة: ٥١/٥.
- (٣٤) الصحاح في اللغة: (قبل).
- (٣٥) الصفات: ٢٧.
- (٣٦) الذاريات: ٢٩.
- (٣٧) مفاتيح الغيب: ٢٨/٢١٤.
- (٣٨) الصفات: ٩٤.
- (٣٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٥٥.
- (٤٠) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة: ٣٨٢، وينظر: زبدة التفسير: ٥٩٢.
- (٤١) القصص: ٣١.
- (٤٢) التفسير الوسيط: ١٤/٢٢٢.
- (٤٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/٦١.
- (٤٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٥٦.
- (٤٥) «هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم لا مرحباً بهم أنهم صالوا النار».
- (٤٦) البلد: ١١.
- (٤٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/١٢٤.
- (٤٨) ينظر: الكشاف: ٦/٣٧٨.
- (٤٩) زبدة التفسير: ٨٠٨.
- (٥٠) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/٦٥.
- (٥١) ينظر: نفسه: ٥/٦٦.
- (٥٢) ينظر: المصباح المنير: (قدم).
- (٥٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/٦٥، وينظر الصحاح في اللغة: (قدم).
- (٥٤) هود: ٩٨.
- (٥٥) زبدة التفسير: ٢٩٩.
- (٥٦) الحجر: ٢٤.
- (٥٧) لسان العرب: (قدم).
- (٥٨) الفجر: ٢٤.





- (٥٩) البقرة: ٩٥.
- (٦٠) الكهف: ٥٧.
- (٦١) النحل: ٦١.
- (٦٢) الفتح: ٢.
- (٦٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٥ / ٢.
- (٦٤) ينظر: الصحاح في اللغة: (حضر).
- (٦٥) المصباح المنير: (حضرت).
- (٦٦) الصحاح في اللغة: (حضر).
- (٦٧) الديوان: ١٦٠.
- (٦٨) ينظر: إصلاح الوجوه: ١٣٦، نزهة الأعين النواظر: ٢٦٤-٢٦٤.
- (٦٩) الكهف: ٤٩.
- (٧٠) الروم: ١٦.
- (٧١) البقرة: ١٩٦.
- (٧٢) الاحقاف: ٢٩.
- (٧٣) مريم: ٦٨.
- (٧٤) البقرة: ١٨٠.
- (٧٥) الأنعام: ٦١.
- (٧٦) الاحقاف: ٢٩.
- (٧٧) التكوير: ١٤. ينظر: زبدة التفسير من فتح القدير: ٧٩٤.
- (٧٨) ينظر: الصحاح في اللغة: (ورد)، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٦٥.
- (٧٩) ينظر: المصباح المنير: (ورد).
- (٨٠) القصص: ٢٣.
- (٨١) ينظر: زبدة التفسير من فتح القدير: ٥٠٩.
- (٨٢) ينظر: نزهة الأعين: ٦١٠.
- (٨٣) ينظر: لسان العرب: (ورد).
- (٨٤) ديوان الهدليين: ١ / ١٢٣.
- (*) قوله جشت: كسحت واخرج ما فيها. والذفاف: الماء القليل الخفيف. يقول: ليس بها



- ماء. [ديوان الهذليين: ١/ ١٢٣].
- (٨٥) ينظر: لسان العرب (ورد).
- (٨٦) ينظر: اصلاح الوجوه والنظائر: ٤٨٥، نزهة الاعين النواظر: ٦١٠.
- (٨٧) هود: ٩٨.
- (٨٨) القصص: ٢٣.
- (٨٩) ينظر: زبدة التفسير من فتح القدير: ٥٠٩.
- (٩٠) يوسف: ١٩.
- (٩١) الأنبياء: ٩٩.
- (٩٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٤٨/٩.
- (٩٣) هود: ٩٨.
- (٩٤) زبدة التفسير: ٢٩٩.
- (٩٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٠.
- (٩٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٦١.
- (٩٧) الأنبياء: ٧٣.
- (٩٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/ ١١١.
- (٩٩) النور: ٣٧.
- (١٠٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/ ١٢٤.
- (١٠١) البقرة: ٥٣.
- (١٠٢) التحرير والتنوير: ١/ ٥٠١.
- (١٠٣) النساء: ٥٤.
- (١٠٤) مفاتيح الغيب: ١٠/ ١٣٧.
- (١٠٥) الأنبياء: ٧٩.
- (١٠٦) التفسير الوسيط: ١٠/ ١٠٦.
- (١٠٧) المؤمنون: ٤٩.
- (١٠٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٧/ ٥٢.
- (١٠٩) النمل: ١٥.
- (١١٠) التفسير الوسيط: ١٤/ ١٣٢.





- (١١١) مقاييس اللغة: ٣٩٢/٢.
- (١١٢) التوبة: ٣٣.
- (١١٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥٣.
- (١١٤) التحرير والتنوير: ١٧٣/١٠.
- (١١٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٣٤/٥.
- (١١٦) الديوان: ١٠٤.
- (١١٧) مقاييس اللغة: ٣٣٤/٥.
- (١١٨) نفسه: ٣٣٤/٥.
- (١١٩) الإسراء: ١٠٥.
- (١٢٠) ينظر: التفسير الوسيط: ٢٢٥/٨.
- (١٢١) الكشف: ٥٥٨/٣.
- (١٢٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٥٤/٤.
- (١٢٣) ينظر: اللسان (عطا).
- (١٢٤) الضحى: ٥.
- (١٢٥) التفسير الوسيط: ٢٣٢/٢٢.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم ١٤٢٥هـ-١٩٨٥.
- (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد ألعمادي (ت ٩٨٢هـ)، تح: عبد القادر احمد عطا، مطبعة السعادة.
- (٢) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ)، تح: عبد العزيز سيد الاهل، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٠م.
- (٣) التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.
- (٤) تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت.
- (٥) تفسير القرآن العظيم: الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى السيد محمد، محمد فضل العجموي، محمد السيد رشاد، علي احمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، دت.
- (٦) التفسير الوسيط: د. السيد محمد طنطاوي، دار الرسالة، القاهرة، ط ٢،
- (٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر.
- (٩) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- (١٠) ديوان عامر بن الطفيل: بيروت، ١٩٦٢.
- (١١) ديوان العجاج: رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت، ١٩٧١م.
- (١٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- (١٣) ديوان النابغة الجعدي: دار صادر،





- بيروت، ١٩٦٠.
- (١٤) ديوان الهذليين: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م.
- (١٥) زبدة التفسير من فتح القدير بهامش القرآن الكريم: محمد سليمان عبد الله الاشقر، ط ٢، الكويت، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- (١٦) السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تح: د. عبدالغفار سليمان البغدادي وسيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (١٧) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: صنعته ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٤٤ م، الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٤ م.
- (١٨) الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت حوالي ٤٠٠هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، القاهرة، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (١٩) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، الناشر دار الرشيد للنشر، مطابع الرسالة، الكويت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (٢٠) غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، عنى بشره برجستراسر، ط ١، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- (٢١) الفائق في غريب الحديث: جار الله الزمخشري، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٤٩ م.
- (٢٢) فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- (٢٣) الكشّاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٢٤) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١.
- (٢٥) مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (٥١٨هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (٢٦) المصباح المنير في غريب الشرح



الكبير: أحمد بن محمد الفيومي
(ت ٧٧٠هـ)، ط ٣، إيران، مؤسسة دار
الهجرة (١٤٢٥هـ) - ٢٠٠٤م.

(٢٧) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس
(ت ٣٩٥هـ): تح: عبد السلام محمد
هارون، ط ٢، دار الفكر، بيروت،
١٩٩٩م.

(٢٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): محمد
فخر الدين الرّازي (ت ٦٠٦هـ)، دار
الفكر، ط ١، بيروت، ١٤٠١هـ -
١٩٨١م.

(٢٩) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم
الحسن بن محمد المعروف بالرّاعب
الأصفهاني (ت حوالي ٤٢٥هـ)، تح:
صفوان عدنان داودي، دار القلم،
دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٣٠) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه
والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد
الرحمن ابن الجوزي، تح: محمد عبد
الكريم، كاظم الراقي، ط ١، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ -
١٩٨٤م.

(٣١) النهاية في غريب الحديث والأثر:
المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن
الأثير، تح: طاهر أحمد الراوي،
ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة
اسماعيليان للطباعة والنشر، قم،
الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش.

